(باستثناء عين زيتيم) ولكن النقطة الحاكمة الهامة ، وهي جبل كنعان ، كانت بيد العدو ، ويتصل بمستعمرة عين زيتيم التي كانت تشكل مخفرا اماميا قويا للدفاع عن صفد من جهة الغرب .

بدء المعركة :

بدأت معركة صفد عمليا من خارجها . فكان لزاما على القيادة ان تحكم الطوق حول المدينة . فأمرت سريتنا ان تنتقل الى قرية دلاتا ، فشكلت بذلك الطرف الايسر للقوس المضروب حول المدينة من الغرب . ولكن مستعمرة عين زيتيم كانت تقف حائلا دون التمكن من التأثير المباشر على الحي اليهودي من المدينة . ولقد قام المقدم شيشكلي بعدة محاولات لاحتلال المستعمرة ، وجرت حولها عدة معارك محلية صغيرة ، ولكن جميع المحاولات باءت بالفشل ، وقصفت المستعمرة بالهاون ٨١ مم عدة مرات ، وكان من نتيجة القصف ان زادت التحصينات الداخلية والخارجية في المستعمرة كما أفاد الاستطلاع المستمر .

كان الملازم الاول احسان كم الماز (من الجيش السوري) في صفد ، فقد هرب من الجيش حماسة ونخوة ، واصطحب معه عدة عناصر من رتباء الجيش ومن تلامذته ، ودخل مدينة صفد . فأحبه الاهلون واستلم قيادتهم . فكان يقود في المدينة جميع المناوشات والاشتباكات المستمرة مع اليهود من جهة ، ومع الانكليز من جهة ثانية في بعض الاحيان . ولكن هذه المناوشات لم تكن الا لاثبات الوجود العربي في المدينة ، ولم يكن لها تأثير حاسم ولم تحقق اي غرض عسكري سوى احتلال مركز البوليس .

وفجأة اعلن الانكليز اخلاءهم لمدينة صفد . وبدأوا باغراء الفريقين العرب واليهود للتسابق الى احتلال المركز واختطافه من الفريق الاخر . فقامت عناصر التغطية الانكليزية (حسب الرواية العربية المتواترة) تضرب الفريقين معا في آن واحد حماية لانسحابها، ولكن الرواية العربية تضيف بأن الجيش الانكليزي كان يركز في ضربه على العرب اكثر من اليهود ، حتى يتاح لليهود السبق في الاحتلال . ولكن الملازم الاول احسان كم الماز استطاع بحيويته وشجاعته وبما جمعه حوله من المجاهدين الصفديين ان يسبق الى الاحتلال والتمركز ، وان يدافع عن المركز ضد الفريقين في البدء ثم ضد اليهود في النهاية . وبقي المركز بيد العرب . فأكسبهم ميزة دفاعية جيدة، وحسن كثيرا من قوة دفاعهم . لان مركز البوليس كان يشرف على الحي العربي اكثر من اشرافه على الحي اليهودي ، وان بقي جبل كنعان مشرفا عليه . وبهذا الاحتلال فاتت على اليهود فرصة ثمينة جدا في كسب المعركة بل في تأخير هذا الكسب مدة أطول .

قلب هذا الوضع الطارىء خطط المقدم شيشكلي رأسا على عقب . فبينما كان مستمرا في تحضيراته للاستيلاء على مستعمرة عين زيتيم لتضييق الحصار على الحي اليهودي وايقاعه بعد احتلال المستعمرة تحت تأثير الضرب المباشر من قبل القوات العربية، نراه يرجىء هذا الامر الى موعد اخر ، ويسرع في نجدة حامية صفد داخل المدينة . لانها ان اختلت وسقطت المدينة لم يعد بوسعه البقاء حولها (كما حدث فيما بعد) . ناهيك بفقد الموقع الستراتيجي الهام . وليؤمن المقدم شيشكلي تنفيذ مهمته جمع القوات التالية :

١ — السرية الاردنية بقيادة النقيب ساري الفنيش . وكانت متمركزة في ترشيحا على ما أذكر .

٢ — فصيلة من سرية القيادة (متطوعون سوريون) وزمرة هاون ٨١ مم (مدفع واحد) بقيادة آمر السرية الملازم عبد الحميد سراج .

٣ — فصيلة وحضيرة من سرية ادلب بقيادتي .

جرت هذه التحركات ليلا الى مخفر الظاهرية . ثم منه سيرا على الاقدام في وادي الطواحين ثم صعودا الى المدينة من الجهة الجنوبية . وكان الوادي شديد الانحدار وعرا ذا شجر كثيف ولا يصلح الا للسير بالرتل الاحادي وبكل تؤدة نظرا لضيق الدرب ، وخشية الانزلاق على الاراضي المبتلة من المطر . ودخلنا صفد مع الفجر ثم لحقنا الاردنيون . (اذكر أن تاريخ هذا التحرك انما كان في اواخر النصف الاول من شهر نيسان عام ٤٨) ثم جرى توزيع المهمات كما يلي :

١ — كلف الملازم حافظ (اردني) باحتلال مركز البوليس والدفاع عنه بقوة تتألف من فصيلة من